

البطولة

في الأدب الجزائري

يقدمها الناقد محمد الله

تمهيد :

وابن باديس وغيرهم خير الامثلة على تدخل تلك العوامل في تكييف المبادئ من ناحية والاشخاص من ناحية اخرى .. وعلى هذا الاساس قام الادب الجزائري المعاصر . لقد لونه الاستعمار بلون خاص وطبعته الحرب بطابع مميز وصفته الظروف بصبغة معينة .

وبذلك يتضح ان ما يزعمه بعضهم من موت الادب وانقطاع الابداء الجزائريين غير صحيح وان الاولى لنا ان نفهم ذلك الزعم على انه عجز عن هضم الواقع واستحضار التاريخ وتمثل الاسباب الحقيقية لفهم حركة الادب في الجزائر .

ومن الخير لنا ان ندرس الادب الجزائري ليتبين صدق ما نقول ولنبدأ اليوم بزوايا واحدة من زوايا المختلفة وهي زاوية البطولة لنرى كيف عالجها ومدى تمبيره عنها ومدى اختفاء ادباء الجزائر بهذا اللون الرائع من الوان التعبير شعر ونثر .

١ - في الرواية

ان النثر اشد التصاقا بالارض من الشعر وقد تجلت هذه الحقيقة في النثر الجزائري بعامه ، والرواية بخاصة .. فقد ساعدت ظروف الجزائر بعد الحرب العالمية الاولى على سيادة المذهب الواقعي ووجد فيه الكتاب على اختلاف ميولهم وثقافتهم مجالاً للتعبير عن واقع البلاد بما فيه من تناقضات وما يعيشه من عزلة وحرمان وما يكثر فيه من دعاوى الحرية والوطنية والديمقراطية والرخاء في الوقت الذي يعيش في قيود ثقيلة وشقاء مزمن . غير ان هذه الواقعية لم تسد بما تحمله من تشاؤم ونظرات سوداء وما قد تزرعه من بذور الحقد والطبقية بل سادت الواقعية في الادب الجزائري - إلا قليلا - لما فيها من وصف مادي للحياة الاجتماعية المخيفة التي يحيها عشرة ملايين من السكان ولما فيها من امكانيات التعبير الصريح عن تلك الحياة واهلها .. ولذلك لم يعالج النثر الجزائري في تلك الفترة الا الموضوعات المادية الصميمة او الحيوية الصارخة كالفقر والتعليم والحرية والهجرة .. تلك التي عانى منها الشعب كثيرا في ظل الاحتلال .

ومن هنا لا نعجب حين نرى ونسمع اولئك الابطال الذين يعالج الكتاب من خلالها تلك المشكلات يصورون الحياة الاجتماعية بجميع ما فيها بيأسها وحاجتها وشعورها بالمرارة وثورتها على الظلم والعسف .. انهم ابطال واقعيون يعيشون في مستوى الشعب المادي وقلما يشاركونه حياته الروحية .. انهم يشعرون ويعملون كما يعمل .. ليسوا خياليين مثاليين كما انهم ليسوا انهزاميين رجعيين . انهم افراد تتمثل فيهم طبائع البيئة بخيرها وشرها بحقدتها وتعاونها بفشلها وانتصارها بارتباطها

هل صحيح ان الاستعمار والحرب والظروف تقتل الادب والادباء ؟ وهل يصح - بناء على ذلك ان ندعى بان الجزائر - البلد العربي العريق - خالية من الادب ومن الابداء لانها عانت وما زالت تعاني من الاستعمار والحرب والظروف ؟ لقد اعترف غير واحد بذلك في مناسبات شتى اهمها المناسبات الثقافية والادبية . فكلما وقف جزائري في مؤتمر جامع او ندوة عامة او حتى في مناسبة شخصية، تأوه وتأسف وصب اللعنات على الاستعمار والحرب والظروف .. تلك التي انتزعت - في نظره - مواهب الجزائريين وغسلتها في البحر المالح فعاقتها بذلك عن الاخصاب والازدهار .

والحقيقة ان هذه الاعتذار لم تعد تخفى على الواعين المؤمنين برسالتهم الوطنية والادبية من الجزائريين انفسهم . كما انها من غير شك لم تخف على القراء والسامعين من العرب وغير العرب في كل مناسبة قيل فيها مثل ذلك الكلام ، وصيغ فيها ذلك الاعتذار البارد .. غاية الامر ، وبكسل بساطة ، ان ما يقال عن الادب والادباء في الجزائر الان هو حقنة مسكنة تشفع لالهما تلك السمعة الهائلة لبطولة الجزائر في حرب التحرير ومقاومتها الخارقة .. ان هذه السمعة وهذه البطولة هي التي تسحر القراء والسامعين وتسيهم ما هم فيه من الحديث عن الادب والادباء . ولكنهم عندما يعودون الى رشدهم وتبرز امامهم علامة الاستفهام من جديد يتوارى اولئك المشاؤون عن الانظار في براعة فائقة .

انا شخصيا ارى ان الاستعمار لا يقتل الادب ولكن يلونه بالوان مختلفة فيخلق مثلا ادب الرمز والادب المنحرف او الشاذ ويخلق الصراع بين الادب المنحرف والرجعي .. كذلك ارى ان الظروف لا تقتل الادب ولكن تكييفه فتجعل منه الادب الذاتي او الموضوعي والادب الهادف او التعبيري والادب النموذجي المثالي او الحيادي الواقعي .. كما ارى ان الحرب كفيلة بتوسيع مجالات الادب او تضييقها . انها هي التي تعطي للاديب فرص الانطلاق وتحطيم المفاهيم السائدة وتسليحه بطاقات جديدة لا يظفر بها اثناء الركود وسيادة العادات والتقاليد الرجعية .

وان الزمن خير شاهد على ما نزع فالمدراس الادبية من رومانسية وواقعية ورمزية والتيارات الاجتماعية من ارسنقراطية وبرجوازية واشتراكية .. كل هذه مدينة في تلويحها واخراجها وقوة دفعها وتكيفها . الى تلك العوامل التي اتينا بها وهي الاستعمار والحرب والظروف .. ولا نحب الان ان نستعرض في التمثيل والتاريخ .. وحسبنا ان نقول .. ان طافور وماركس ورسو وادباء المهجر وشكسبير ومحمد العيد

بالماضي وتطلعا الى المستقبل .. هذا هو البطل كما فهمته الرواية الجزائرية .. شخص عادي يركز الكاتب فيه عليه كل مشاعر المواطن .. ليس له مؤهلات خاصة ولا استعدادات فطرية او طارئة لا توجد في سواه .

فهذا عمر بطل محمد ديب في روايته الكبيرة الرائعة « البيت الكبير » « الحريق » « المنسج » تعرفه منذ كان طفلا يعيش مع امه في منزل قديم عفن في مدينة تلمسان الى ان يصبح رجلا عاملا في مصنع للنسيج ينتظر مصيره تماما كما ينتظره الالف من مواطنيه وهو المصير الذي تحدد بقيام ثورة ١٩٥٤ وعمر في تنقله من مرحلة البيت الى المدرسة ثم الريف ثم المصنع او فلنقل من تنقله من مرحلة الطفولة الى مرحلة النضج لم يسر في غير الطريق التي رسمها له المؤلف وهي طريق ليست غريبة على الذين عاشوا او شاهدوا تلك البيئة اذ ليس في الجزائر مهنة او وظيفة محددة يعد لها الفرد ليشغلها يوما ما فلم يبق الا ان يكون مستعدا للصراع مع الحياة في جميع اشكالها . والبطل عمر في طفولته صورة لالف الاطفال الجزائريين في تشردهم وضياعهم وهو في شبابه صور اخرى لالف العمال الذين يثرون ويشكون ويأسون ويتضرعون لانواع شتى من المذلة والهوان وفيهم من يعيش بلا مستقبل في تخاذل ويأس ومن يتطلع الى غد كريم في ثورة وعنق وفي ثقة وايمان .. وهكذا .

كذلك نجد بطل رواية (العتاريس) لادريس الشرايبي ينزل الى نفس المستوى الذي يعيشه مواطنوه في باريس .. اولئك الذين يحيون رواسب نفسية ومادية وخلقية اعتنقوها منذ كانوا في الجزائر ونقلوها معهم او نقلت اليهم في فرنسا . ان البطل في هذه الرواية اديب فنان له احساس خاص ومن حقه ان يحيا حياة ارقى من تلك التي انغمس فيها ابناؤه ورسبوا فيها الى القاع ومع ذلك تأسى عليه انسانيته الا ان ينغمس في نفس الحياة ويفوض الى نفس القاع انه يواكلهم ويجادلهم ويحترف اعمالهم بل ينزل الى تفكيرهم .. وهكذا لم يبق من فارق بين البطل وبين سائر المواطنين حتى في الاحساس الخاص الذي حاول الشرايبي ان ينقله اليها على السنة وفي اعمال تلك العتاريس الادمية .

ومثل ذلك يقال في عامر بطل (الارض والدم) رواية مولود فرعون ، وابطل كاتب ياسين في روايته (نجمة) .

وهناك رواية اخرى صغيرة نحب ان نقف عندها قليلا تلك هي رواية (غادة ام القرى) لاحمد رضا حوحو « ١٩٤٧ » وبطلتها (زكية) فتاة حرمت لذة العلم وممارسة حقوقها الطبيعية كانسائه من ناحية وامرأة من ناحية اخرى وفي هذه الرواية الصغيرة يعالج الكاتب مشكلة الحجاب تلك المشكلة التي شغلت الازهان والاقلام زمنا طويلا والتي ما يزال مجتمعنا يعاني منها حتى الان . وبالرغم من ان حوحو قد كتبها عن اسرة تعرف عليها في الحجاز الا ان نموذجها وفكرتها في الجزائر ولا فرق بين البيئتين في هذه الناحية في ذلك الحين . ولعل حوحو لم يستطع ان يخرجها على الناس باسم اسرة جزائرية خوفا من سلطة المجتمع التي كان لها الحكم الاول والاخير اثناء تلك الفترة ولذلك اكتفى باهدائها الى « تلك التي تعيش محرومة من نعمة الحب والعلم والحرية .. الى تلك المخلوقة البائسة المهملة في هذا الوجود .. الى المرأة الجزائرية تعزية وسلوى » . ومع هذا الهروب من المجتمع فلم تسلم الرواية ولا الكاتب من بعض السهام والغمزات والبطللة - زكية في هذه الرواية تمثل جمهرة الفتيات الجزائريات اللاتي يقاسن من عذاب المنزل او السجن

ما قد يؤدي بحياتهن كما اودى بحياة زكية وهي التي سيظهرها الكاتب في شخصية عائشة اقصوصته في (نماذج بشرية) مع فارق بسيط . ان البطل في الرواية الجزائرية كما رأينا ليس مثلا اعلى ولا نموذجا خارقا تتجسد فيه فكرة او مبدأ عام وانما هو بطل واقعي فيه كل ما في الواقع من نأساة وحرارة وصراحة سواء كان هذا البطل صبورا او كسيرا رجلا او امرأة يمثل عاملا في مصنع او امرأة بين اربعة جدران .

٢ - في القصة

اما في القصة القصيرة او الاقصوصة فقد تطور البطل فيها شيئا فشيئا الى ان صار ممثلا لفكرة وطنية او فكرة مضادة (الخيانة) وهذا في الحقيقة يعود الى تطور المفهوم السياسي في الجزائر فمنذ الحسب الثانية دخل هذا المفهوم في مرحلة جديدة ايجابية تقتضيه العمل على التخلص من الاحتلال وقد تجمعت كل التيارات حول هذا المفهوم حتى تلك التيارات التي كانت يوما ما مضادة او مترددة او غير مؤمنة بمستقبل سياسي للجزائر فقد خاب امل الجزائريين الوطنيين في الحلفاء وساء الظن بالاجنبي حيث كان وظهر شعور بالكراهية في تلك الحملات الشعبية التي بدأت بمظاهرة ٨ مايو ١٩٥٥ واستمرت في الصحف والندوات والاجتماعات متطورة نحو العنف متجددة دائما بمفعول جديد الى مطلع نوفمبر ١٩٥٤ . وابطال هذه الفترة يمثلونها اصدق تمثيل ويعكسون مشاعر الجمهور الوطني في خدمة وقوة سواء كانوا في الجزائر او خارجها فهؤلاء ابطال احمد عاشور وعلى الخصوص ابطال : يوم الجلاء وزواج عصري والرجلان والذب الابيض والاندماج وزوجة اوربية . ففي اقصوصة يوم الجلاء (١) مثلا يتلاقى البطل - وهو مواطن جزائري مع كاتبة مسرحية فرنسية واخيها الرجل الصحفي المؤمن بالاشتراكية الى ابعد الحدود ويبدا الحوار بان تسال السيدة البطل عندما ترى العلم الفرنسي يرتفع مكان العلم الالاماني - لماذا لا يبدو عليك الفرح مثلنا ؟ - لقد كان ذلك ممكنا لو ان علمنا هو الذي يرتفع مكان علمكم في الجزائر - (مندهشة) هل تمثل او تتهمك؟ وهنا يتدخل اخوها الاشتراكي فيقول - ان كنت تعلمين ان هذا السيد جزائري فهو يقول الجدل ولا يتهمك . - فتجيب هي - ولكنه فرنسي على كل حال - ان هذه الحرب الاخيرة قد انتهت بثورة الشعوب المستضعفة في العالم في حماس رهيب . فتعقب هي - ان تحققت هذه الفكرة فالتاريخ سيعيد نفسه في الشمال الافريقي بنشاط عظيم .. ويومئذ .. فيكمل البطل - ويومئذ يصير الشعب غير معطل عن استعمال مواهبه - حينذا لو كان هذا فقط .. وفي هذه اللحظة يدوي صوت الرصاص فتحتمي السيدة بالبطل فيقول لها : هذا ما تريدون منا ، الحماية . فتسكت هي ولكن اخاها يبتسم .

ان هذه الروح الجديدة التي تتجسم في هذا البطل هي التي سادت قصص هذه الفترة تبعا لسيادة نفس الروح في الالوان الادبية الاخرى كالمقالة مثلا وهي التي سادت انتاج احمد حوحو وشريف الحسيني وزهور ونيس غير ان السيدة زهور قد اعتنت بالجانب النسائي في هذه الناحية اذ ان اغلب ابطالها من النساء وقد اعطت عن المرأة الجزائرية صورة صادقة في تأخرها وقسوة المجتمع عليها وتطلعا الى حياة افضل واكرم حين يتاح لها حظ من الثقافة .. وهي كذلك ترسم خطوطا كبيرة لمجتمع ذلك العهد لاننا نجد صراعا بين واقع نعانيه وبين امل يراودنا ونحاول الوصول اليه لا لكونه املا سياسيا فقط بل لكونه املا حيا فيه نهوض اجتماعي وتحرر سياسي واندفاع ثقافي واقتصادي . ويتلاقى مع السيدة

(١) جلاء الالمان عن باريس اثر الحرب الثانية .

والحق اني لا اريد ان استمر في مناقشة هذه المشكلة الا بالقدر الذي يساعدني على تقديم البطل في المسرحية الجزائرية وكيف نظر كتابها الى مشكلة الشعر والنثر هذه وبأي الرأي انتفعوا .. ولعل اول ظاهرة تلفت نظرنا اننا لا نجد سوى مسرحية واحدة شعرية تاريخية وهي مسرحية (بلال) للشاعر محمد العيد ..

وموضوع الرواية معروف تقريبا اذ تدور حوادثها في الحجاز على عهد الرسالة وعقدتها هي الاستماتة في سبيل العقيدة والبطل فيها ظل مثلا للامان القوي والصبر الطويل حتى انتصر في النهاية ... وهي تحمل كثيرا من بذور المأساة في لفتها وحوادثها وهدفها وقد اعتقد محمد العيد ان بطله يؤدي بذلك عملا قوميا هادفا فان بلال قاوم جميع المفريات ورضى بالعباد والاهانة في سبيل عقيدته حتى النصر في وقت كانت - الجزائر كلها تقاوم نفس المفريات من اندماج ومساواة بفرنسا وقد استعذبت الام في سبيل المحافظة على شخصيتها القومية حتى انتصرت هي الاخرى في النهاية .

ومن قول بلال يتحسر ويتمنى وهو يعاني الام القيد والرق :

آه من الرق آه قد ضقت بالرق ذرعا
لو انني كنت حرا صدعت بالدين صدعا
كيف الخلاص فاني وقمت في شق افمي ؟!

وفي سنة ١٩٥٠ اخرج احمد توفيق المدني مسرحية (حنبعل) التاريخية الثرية . وحنبعل هذا قائد وطني افريقي تار على الاستعمار الروماني وانتصر عليه وطارده حتى مدينة روما ثم اعاد الرومان الهجوم فلم يسر حنبعل بدا من الصلح تحت ضغط رجال السياسة من حاشيته وخيانة بعض افرادها وقد تولى حنبعل سلطة البلاد ولما اشتد امره واخذ يعمل على تفويض ملك الرومان من جديد تحرشوا به وارادوا له السوء فسافر الى الشام وهناك اشترك مع اليونان في استرداد اثينا التي كان الرومان قد استولوا عليها ثم انتقل تحت ضغط الظروف السياسية الى مملكة بيشنا اليونانية على بحر مرمرة وهناك اخذ يعمل من جديد ضد روما بنشاط كبير اربع قنصلها العام في تلك المملكة وجعله يظلم من ملك البلاد الضعيف تسليم حنبعل باعتباره احد الرعايا الخارجين على روما وعندما علم حنبعل بعزم الملك على تسليمه شرب السم وانتهى حياته بشرف .

ولعلنا نرى من خلال هذا التلخيص الموجز ان المسرحية تكان تكون مأساة (تراجيديا) في كل شيء كما عرفها القرن السابع والثامن عشر وكما عرفها الاغريق من قبل . فالبطل ممتاز مؤيد بكل خصائص القوة والبأس والجرأة والوطنية وهو محاط بالاعداء من كل جانب في الداخل والخارج وعليه ان يناضل ليتخلص من الجميع وينتصر ولكن كيف ؟ ان الظروف العديدة تتدخل لتطوح بالبطل الى الشرق وليجد الاعداء هناك ايضا . ولو عمد توفيق المدني الى تقيير بسيط في الحوادث ولم يلتزم الواقع التاريخي ولو هيا الظروف لانتصار البطل في النهاية كما فعل كورني في (السيد) لكانت حنبعل مأساة عنيفة تعود بنا الى ما قبل زمننا الحاضر بمسافات بعيدة . ان الكاتب لم يراع الجمهور وشدة اعجابهم بالبطل المناضل وهو يسقيه السم ليختم به صفحة حياته الرائعة ولو احس باحساس الجمهور بتدل هذا الاحساس الراهف بالتاريخ لاعاد الينا البطل حنبعل وفي يمينه رأس عدوه (شيبو) وعلى جبينه طلعة النمر .

ولا يفوتني ان اقول ان اسلوب توفيق المدني الخطابي المغمم بالعواطف والمبالغات قد قرب لغة المسرحية من لغة الشعر تلك اللغة المحيية لدى

زهور في هذه المحاولة وهذا التخطيط للمجتمع حوحو في قصتيه : عائشة وصاحبة الوحي وعاشور في قصتيه : عانس تشكو وصالح وخطيبته والحسيني في قصته سوزان .

اما البطل الذي يمثل الفكرة المضادة كما تصوره القصة الجزائرية فحسبنا ان نشير الى : الامام المزور والمعلم الساحر ودرس في التوحيد لاحمد عاشور وسي زعرور وسيدي الحاج والشيخ زروق لرضا حوحو وكذلك بعض انتاج عبد المجيد الشافعي الاخير .

ففي هذه الاقاصيص يقوم البطل بادوار غريبة فيقدم على الخيانة احيانا والشعوذة وبيع الضمير احيانا اخرى واستغلال البسطاء والجهال من الشعب احيانا ثالثة .. وهكذا .. ان البطل هنا تافه ليس له رصيد من شجاعة او ضمير او تسام . وكل ما يريد ، هو الحصول على لقب او كرسي او مال او وسام او حتى وظيفة حقيرة .. انه هنا مثال البطل الارضي الذي يهيمه فقط اشباع غرائزه الدنيا بما فيها من اناية وجين وبشاعة ولو ادى به ذلك الى التضحية بوطنه او مبدئه او دينه ومقدساته . والقصاصون الجزائريون يهدفون من وراء هذه الصور البشعة السي لفت المجتمع لامثال : هؤلاء المعوقين فيتخلص منهم ويقضي على وجودهم بالثقافة السياسية والاخلاق العالية والوعي الاجتماعي .. وهكذا نجد البطل حتى في صورته الدنيا واعماله الاخلاقية يحاول ان يدفع بالوعي القومي خطوات في طريق التحرر من الماضي ومن الفرقة والجهل والتواكل والياس .. تلك الامراض التي كادت تودي بكيان المجتمع الجزائري بتشجيع الاستعمار والمؤمنين به كل ذلك يؤديه البطل بطريق الصديسة والتصوير بالكلام والاعمال الصارخة .

٣ - في المسرحية

يقول نقاد المسرح الواقعي : ان النثر قد جنى على المسرحية وصيرها تافهة في نظر الزمن لا تكاد تشاهد حتى تنسى وينهب ما فيها من معالم وما تسوقه من اهداف ويقولون : ان لغة الشعر انصب واجل قدرا واكثر قابلية للخلود لما تحمله من عناصر باقية تتجدد طرفاتها ودهشنتها كلما اعيد تمثيلها وقد يكون هؤلاء النقاد من امثال (سومرست موم) و (فرنسوا مورياك) متشائمين بمستقبل المسرحية الثرية وقد تكون تجربتهم مع المسرح والقراء اثبتت لهم صدق ما يدعون . ولكن الذي لا شك فيه ان هناك مستوى لغويا وضمنيا يجب ان تحافظ عليه المسرحية واقعية كانت او رومانسية تاريخية او معاصرة . وهذا المستوى هو وحده الكفيل باعطاء المسرحية قوة الحياة وازخارها بعناصر البقاء والتجدد فليست العبرة في نظرنا بالناحية الشكلية من نثر او شعر بقدر ما هي ناحية موضوعية تتمثل فيها الطرافة والحيوية والصدق الواقعي . ولو كان الشعر هو الطريق لانجاح وتخليد المسرحيات لما فشلت ونسيبت مسرحيات كثيرة عرّفها نظارة القرن السابع والثامن عشر وهو العهد الذهبي للشعر . صحيح ان للشعر ذخيره من الخيال والعاطفة وجمال الصورة وشفافية اللفظ ولكن هذا ليس كل شيء لضمان الخلود فان للنثر ايضا جاذبيته وقربه من الذهن وامكانياته التعبيرية التي لا تتوافر للشعر مهما كان واقعا .

ولعل الذي اغرى هؤلاء النقاد بمتابعة هجماتهم على المسرحية الثرية الواقعية انهم وجدوا الشعر اكثر تناسقا مع جلال النماذج البطولية الباقية وانهم وجدوا هؤلاء الابطال (النماذج) قد ظاوا محل اعجاب وتقدير من الاجيال الصاعدة متخذين من ابطل شكسبير وكورني وراسين وغيرهم حجة على خلود المسرحية الشعرية .

الهارب

ذكريات الماضي : ينايع شوق
تردى مجنونة في شعوري
راقصات ، اشباح حب ، تلوى
في ثنانيا الايام ، بين القبور
في وجوم ، رهبة الهمس ، غري
سائلات عن اللقاء الاخير
عن ورود اذويتها ، عن دموع
جففتها وانكرتها يدايا
عن وعود عن نشوة الالم الاول
عن قبلة الصبا عن منايا
عن شبابي المضاع ، الف سؤال
سبكتها كف السلو خطايا

ارقصي يا اطياف حسب لسار
حائر كده سراب الحياة
عاشق الوهم تائر الفكر مدفوع
ع بسرب من الشياطين عات
رقصة الموت عجلي فهو صنو ال
موت لا يرتجي بريق الآتي
ارقصي حوله ووارى عليه
ورقات يجن فيها الحنين
وادفني هاربا تطارده ذكرى ،
وخوف من موعد لا يحين
وتوارى عنه بعيدا الى حيث
تن الشكوى وتبكي العيون

((نزار الملائكة))

المانيا الغربية

ولم يرد الكاتب ان يجعل للمسرحية بطلا معينا معروفا بالاسم والوصف . وكذلك لم يرد ان يجعل لها عقدة واحدة خاصة تدور حولها الفكرة وتتجمع ولذلك عدد الاشخاص ونوعهم وغاير في المكان وحاول ان يعطي صورة كاملة للشعور العام عند الثورة وقد يكون البطل في الحقيقة هو الشعب الذي اعلن الثورة واذن فليست مسرحية شخص من الاشخاص او موقف من المواقف لان البطل فيها ليس هو فلانا او فلانة في بيئة او موقف ما وانما بطلها هو الشعب نفسه او الفكرة نفسها ان صح التعبير .

وفي الفصل الاول يعرض الكاتب جمعا من النسوة تجتمع امام باب احد سجون الجزائر يحملن سلاا بالطعام الى ذويهم وتدور بينهم مناقشات مختلفة فتقول احدهن (انماع ابائنا وازواجنا . ان هذا الباب يفصل بيننا لكن القدر يصلنا . السجن واحد هنا وهناك) وتقول اخرى اننا نساء مسكينات وحيدات لكننا سنعرف كيف نقوم بكل الاعباء من اليوم ازاء الابواب التي تنفلق او التي لا تنفلق الا لتفلق . ستكون مفاتيح الخلاص (الخالدة) .

وفي هذا الفصل لا نستطيع ان نتيين ملامح بطل بعينه . اننا فقط ازاء فكرة تعرضها احدي اولئك النسوة في قولها (كلنا - رجالا ونساء - على هامش الحياة والعالم بفعاله وفي سيره نحو اهدافه حامل علينا نحن المكبلي الايدي) ولعل الاشرف اراد ان يعطي كذلك صورة للمرأة الجزائرية ودورها في المفهوم الثوري الجديد .

وفي الفصل الثاني يعرض امامنا نفس الفكرة السابقة في ثوب آخر .

- - التتمة على الصفحة ٥٧ - -

التراجيديين . وقد مثلت المسرحية سنة ١٩٤٨ ونشرت كما قلنا في ١٩٥٠ وهذا التاريخ يعتبر نقطة التجمع او فترة الهدوء الذي يسبق العاصفة لا في الجزائر فحسب بل في المغرب العربي كله ولذلك لم نكد تمر سنتان بعد ذلك حتى انقلب ذلك التجمع الى مشاعل ترفع في كل مكان وانقلب ذلك الهدوء الى عاصفة جامعة تنادي بالتححرر والتخلص من الاعداء وهي ما تزال في عنفوانها منذ ذلك التاريخ حتى الان . وقد كانت (حنبعل) ذات هدف معين سياسي تحري و لذلك اهداها توفيق المدني (للشباب) المغربي حامل راية الكفاح في سبيل الحرية وشرف الوطن) ويقول على لسان حنبعل : « ان من اعتبر رجال الشعب عبيدا صرهم لا يفكرون الا في الانتقام . ان عشنا فالوطن لنا جميعا وان متنا فالوطن لابنائنا من بعدنا الى الابد » وينطقه بهذه الجملة « ان العدو عدو دائما » وبالعبارة المشهورة « لقد ولدنا امهاتنا احرارا » .

وتأتي بعد ذلك مسرحية (الحاجز الاخير) او الباب الاخير اصطفى الاشرف فتحمل سمات جديدة للواقع وللکفاح معا . انها تصور الشعب الجزائري وقد تخلص من حيرته وبدأ يتحسس طريقه الشاق الذي يؤمن بانه لن يجتازه بسهولة وهي تعطي الخيط لبداية المعركة الفاصلة او المأساة التي تتم فصولها بعد كما يقول كاتبها تلك المأساة التي نعيشها منذ حملنا السلاح بقيادة الامير عبد القادر الى النهاية او الى (الفد) كما يريد الكاتب ان يقول .

وحوادث هذه المسرحية تجري في شهر ديسمبر ١٩٥٤ (بعد الثورة بشهر واحد) وهي لحظة الانطلاق الاولى بالنسبة الى شعب الجزائر

البطولة في الادب الجزائري

- تنمة المنشور على الصفحة ٣٧ -

والبطل فيها يحمل بشدة على العادات والتقاليد السائدة في الاسر الجزائرية وطريقتها في معاملة الريب، ويبدو ان المؤلف عانى من زوج ابيه ما يعاينه امثاله في تلك البيئة ويظهر انها كانت قاسية عليه تتمتع بقلب صخري لا يرحم وقد سمي ذياب مسرحيته (امرأة الاب) واخرجها سنة ١٩٥٢ .

والحق ان هذه المشكلة يعاني منها كثير من الاطفال عندنا اولئك الذين حرّمهم الحظ عطف الامهات وحنانهم بالموت او بالطلاق ولاسيما في بيئة قليلة الثقافة كالجزائر اذ ليس هناك مشاعر انسانية حساسة بقيمة هذا الصنف من الاطفال ولا اصول للتربية وبين الريب والريبية وقد تصرف البطل مع امرأة ابيه كما يتصرف سائر الناس في مثل ذلك الجو القاسي فكان البطل واحدا من الناس ولم يكن مثلا لاي منهم وكان في تصرفه يترجم عن شعور اجتماعي سائد . غاية ما في الامر انه اوحى الى الناس بطريق غير مباشر ان ما يفعله هو الطريقة المثلى وانها جديرة بالاعتناء ولعل هذه المسرحية كانت تكون انجح واعمق لو تظلب عليها الطابع الكوميدي .

ونخلص من كل ما سبق الى ان هؤلاء الكتاب الاربعة قد اقاموا مسرحياتهم على فكرة الايمان في بلال والمجد والشرف في حنبعل والحرية في الحاجز الاخير والاخلاق في امرأة الاب وكان البطل في كل منها - سواء كان يمثل شخصا او فكرة قد تصرف حسب ارادة الكاتب لا كما يقتضيه الواقع فقد انتصر بلال وكان من الممكن ان ينتصر الضعف الانساني وسقط حنبعل وكان من الممكن ان يعود منتصرا وتصلبت ارادة الجزائر وكان من الممكن ان ينتصر السلاح الحديث وتصرف بطل امرأة الاب وكان ممكنا جدا ان يخضع لمشيئة الظروف .

٤ - في الادب الشعبي

كان بودي ان اتحدث هنا عن البطولة في الادب الشعبي هذا اللون الذي احتفى به الجزائريون ايماء احتفاء وجعلوه حاجة لا غنى عنها في اسماهم وافراحهم ومآتهم ، في جدهم ولهوهم وفي خرافاتهم وايمانهم وهو اللون الوحيد الذي ابقت عليه الايام بالنسبة اليهم . لقد مثل الادب حياة الشعب الجزائري على اختلاف درجاتها واتجاهاتها بؤسا وشقاء نعيما وراحة فلم يخل مجلس سمر او ندوة فرح او جلسة ماتم من طرائف هذا الادب وغرائبه وكان ابطله من ابي زيد الهلالي والجازية وبوسعيدة والزناتي خليفوغيرهم ممن تزخر بهم اساطير الشعب - شعرا ونثرا وزجلا ومثالا . وكان اولئك الابطال مثلا للاقتداء او محلا للاعجاب او مثارا للنتكته والعمرة . وهو على اختلاف قائله ومغنيه من عباسة الى بوقطان صورة لهذا الشعب الذي بقى مرتبطا بتراثه الشرفي وروحه الشرقية مدى العصور رغم شدة التيارات التي تحاول تجريده منها . قلت لقد كان بودي ان افعل ذلك ولكني والحق اقول غير مستعد له في الوقت الحاضر لقلة المراجع بسبب ما بيننا وبين الجزائر اليوم من حوائل وعسى ان تتاح لي فرصة دراسة هذا الادب الفني بشتى انواع التعبير يوما ما . اما الان فتكفيني هذه الاشارة .

٥ - في الشعر

ان الشعر احق فنون التعبير بتمجيد البطولة وتخليد الابطال لانه يجمع الى الاداء المجرد جموح الخيال وعمقه وقوة العاطفة وحرارتها وشمول النظرة ونفاذها ولذلك خلدت به بعض الاثار الكبيرة مما حمل بعضهم على القول بان الواقعية قد تدلت الى الهوة حين فصلت النثر على الشعر ولكن الذي يهمني الان هو كيف صور الشعر الجزائري البطل ؟ هل نظر

اننا نرى سجنا عاريا وبلاط خشنا عليه خمسة رجال مستندين الى الحائط ومع هؤلاء طالب مثقف قوي العقيدة قد عكس الكاتب عليه كثيرا من الاضواء وركز حوله كثيرا من الاهتمام لانه هو المثل للفكرة المروضة فكرة البعث والاصرار الجديدة . فهذا الطالب يقول لزميله السجين وهو يقص ما جرى له من التعذيب والمعاملة السيئة (اننا جميعا كائنات ضعيفة ولكن عزيمته الانسان ابعد من ذلك اذا كان الخير وازعما) ويقول في موضع آخر يبعث الروح ويوقظ الاصرار الكامن في نفس السجين (ائتت رجلا كالاخرين في هذه البلاد التي نصف ساكنيها شباب) وفي موضع اخر يقول (اننا لا نطالب احدا بان يكون بطلا او شهيدا . ان المحبين الى قلوبنا هم اولئك الذين يضطربون بيننا بلا كلفة ويأتون من الاعمال ما يكون مثلا يمكن احتذاؤه دائما . حقا اننا في حاجة الى رجال عاديين لم يبلغوا حد الامتياز عن سواهم لنؤمن بانفسنا .) وهذا هو البطل كما اشرت اليه غير مرة ، وكما فهمته هذه الفترة الدقيقة من تاريخ الجزائر . انه ذلك الذي يضطرب بيننا بلا كلفة ويأتي من الاعمال ما يمكن احتذاؤه دائما ليجعلنا نرى انفسنا ونؤمن بها . وهذا هو الانسان الذي يقدمه لنا مرزوق في الفصل الثالث حيث نرى حليمه - زوج مرزوق احد المجاهدين - جالسة تهتد طفلا في المهدي في كوخ حقير ثم تدخل عليها جاريتها مريم حاملة اليها زادا من الطعام ويدور نقاش بين السيدتين حول هذه الحرب ومداهما واهدافها وتعرف مهمة مرزوق من هذه المقارنة التي تعقدها مريم بين زوجها وزوج جاريتها اذ تقول : لقد اولقوه وسينسونه وراء الابواب الحديدية بنفس السهولة التي انتهبوا بها الى وجوده . اما مرزوق فهو اليوم يكسب معركة من نوع اخر، حرية من نوع اخر تعوزنا نحن .

وعند انصراف الجارة مريم يدخل مرزوق الزوج الثائر ليرى طفله ويطمئن على زوجه اثر معركة جرت قرب المكان . ونسمع هنا مرزوق يتحدثنا من الماضي الحزبي الذي انتهى بالفشل فيقول (وبفضل الاكاذيب السياسية كان النداء يستفعل يوما فيوما حتى الفينا انفسنا بمعزل عن الشعب) ويصف درجة الحقد واليأس التي اجتاحت البلاد في تلك الفترة فيقول عن الاستعمار (ان هذا الوحش الطليق يفترس منذ قرن ا خيارنا واكثرنا براءة) ويطلعننا الكاتب عن شعور المرأة بالذات في هذه المناسبة على لسان حليمه وذلك اذ تقول في مناقشة مع زوجها (نحن الامهات نمشي قدما وابناؤنا يشنون كالشجرات دائما الى اعلى) . وتتضح الفكرة التي قامت عليها المسرحية وتطل من خلف الاشارات الفنية في روعة وانتصابه وذلك حين يقول الكاتب على لسان مرزوق (ان كفاها الحقيقي ليس كفاها مسلحا فحسب بل انه يمتلك النفوس ايضا انه كفاح محجب وعميق كالمستقبل .)

ان مسرحية (الحاجز الاخير) نذير بالعاصفة التي تكنسح ذلك السد وتقوضه وهي في الوقت نفسه بداية طريق جديد وقد اوضحت الثوة معالها وحددت اهدافه وهي الان تسير الى نهايته بخطى اشد حماسا ووسع مدى من اية ثورة اخرى في العالم .

وهناك مسرحية اخرى ذات اربعة فصول كتبها احمد ذياب بظها هو الكاتب نفسه في طفولته وشبابه وهي مسرحية اجتماعية هادفة ايضا

اليه نظرة اسطورية خارقة كما كان يراه القدماء وبعض المحدثين ؟ وهل استفاد من تطور الزمن والاحداث فجعل البطل وليد هذا الزمن وتلك الاحداث ؟ وماذا فعل ازاء توارى الشخصيات في الجزائر وظهور المباديء والافكار بدلا عنها ؟ كل هذه اسئلة تقتضي منا اجابة موضوعية يؤديها الواقع والبراهين .

و اول ما نلاحظه على هذا الشعر انه تدرج في نظرتة الى البطولة فقد بدأ ككل العواطف الاخرى بتمجيد الاشخاص الذين يصح ان نسميهم (اصنام الاحلام) وانتهى في آخر الامر الى نوع آخر من تمجيد البطولة في صورة اخرى ليست للاشخاص ولكنها للمباديء وهذه هي اهم مرحلة يجب ان يقف عندها الشعر طويلا ويستمد منها الوقود لنفسه وللشعب الذي يتلق بلسانه ويرسم وجدانه ونظراته في الحياة . ان الاشخاص مهما كانوا غير عادين ومهما عملوا وشادوا ومهما حاربوا وانتصروا ليسوا الا - اشخاصا (اصناما) وقد انتهينا وانتهى الناس معنا من عبادة الاصنام وتفرقت نظرتنا ونظرتهم اليها .. وهذا هو الذي شجعنا على الاستمرار في الكفر بها واحتقارها الى الابد .. وما دام الاشخاص كذلك فهم فانون يترصدهم الموت الحسي والمعنوي في كل آن فهم يموتون حسيا حين يتوارون عن الانظار بذواتهم الفارغة وهيبتهم المصطنعة وتزول من ذهانتنا واسماعنا حركاتهم وصرائحهم ونظراتهم الحادة اما الموت - المعنوي فعين يتعمدون شيئا فشيئا عن خيالنا ويكشف النسيان غباره على ذكراهم ويبتلعهم الزمن في اغواره .

وثمة فرق اخر بين تمجيد الاشخاص والمباديء كما نظر اليه الشعر الجزائري ذلك ان الشخص (الصنم) او فلنقل البطل قد يكون الها كما اعتبره قدماء الافريق وقد يكون طافية او رسولا او مصلحا او خرافة كما نظر اليه الرومان والمسيحية والاسلام . والشعر امام هذا البطل المصنوع مرة من نور واخرى من نار وثالثة من طين ورابعة من خشب .. هذا الصنم او البطل على هذه القواعد المختلفة لا يخلو الشعر تبعا لذلك من ان يكون شعرا من نور اذا حاول ان يرتفع الى مصاف الالهة والملائكة وما ابعد الانسانية في واقعها عن هذه الانوار المزيفة واما ان يكون شعرا من نار اذا حاول الاقتراب من جهنم الى تعج بضحايا الطفافة واما ان يكون شعرا من طين او خشب اذا التصق بالارض وهو يعتقد ان منها فقط يستمد الناس الانهار والحقول والغذاء .

ولقد سار الناس في القديم على هذا السراط الضيق الذي ينتهي الى تمجيد النور والنار والطين والخشب والخرافة وضح منهم فريق من هذا التزييف لارادة الانسان وطبيعته وطلبوا في القليل ان يستمد الشعر بلائته ونصاعته وتأثيره من الانسان نفسه كما هو وفي الواقع المادي المختلط لا كما تطير به اجنحة الشعراء وكان معنى ذلك ان يلتفت الشعر الى المباديء الخالدة ، الى الجنوة التي تلتهب دائما مهما اشتدت العواصف وتغير الزمان .

وقد كانوا وما زالوا يقولون ان اولئك الاشخاص (الاصنام) ليسوا في الحقيقة الا رموزا لاشياء خالدة وان الشعر بتمجيده لهم وتسيبته بحمدتهم انما يمجذ ذلك (الشيء) الذي لا يموت بعد فقدانهم وهذه هي الواقع لعبة لطيفة ولكنها ليست نزيهة على كل حال لان الصورة - الجميلة لا بد ان تفقد جمالها اذا شوهتها يد الحياة بالاسفلت والقطران . وعلى كل فقد بدأ الشعر الجزائري بتمجيد الاشخاص متجاوزا في ذلك مع ما حوله من اصداة عربية وسار على هذه الطريقة حقبة من الزمن فسجل بطولاتهم وتببع سيرهم واخبارهم وفاخر باعمالهم ورفعهم في بعض

الايان الى مراتب القديسين والانبياء والخرافيين وكان في اول امره قلما يلتفت الى الواقع يعدل به من غلوه ويربط بين نورهم الباهر وطينة البشر السوداء كان مندفعا تحت رغبة جنونية في المبالغة والتعالي كي يجعل هؤلاء الاشخاص كأنهم من عالم آخر غير عالمنا جاؤوا لمساعدتنا وانقاذنا مما نحن فيه من هوان وتراب وليعرضوا في الوقت نفسه ما لديهم من اشياح وسحر وقدرات خاصة على التقلب والسيطرة والتخلص من المآزق الحرجة .

ومن عجب ان هؤلاء الاشخاص (الاصنام) ما زالوا يزوروننا آنا بعد ان فيحتفى الشعر بهم ابلغ احتفاء وينسى بالرغم منه انهم قد يكونون (لا شيء) في عالمنا الحاضر والمستقبل على السواء وبقيننا ان الذي حمل الشعر على القول ما فيهم من جاذبية مؤقتة واغراء مصنوع . ومما جاء في الشعر الجزائري من هذا الضرب التقليدي فخر الامير عبد القادر وبعض مرثي محمد العيد وقصيدته (ملك بني عرشا) و (حشاد) للبياتي و (خطب الجزائر) لابي يقظان وغير ذلك من مناسبات شخصية يترفع عنها الشعر الصحيح والاخلاق الكريمة . فهذا الامير عبد القادر يقول في احدي قصائده مفتخرا :

فكم من مفازات يقل بها القطا قطعت بها والذئب من هولها عوى
فان شئت علما تلقني خير عالم وفي الروع اخباري غدت توهن القوى
وكم هامة ذاك النهار قددها بحمد حسامي والقنا طعنه شوى
ويقول مفتخرا بنسبه وبطولته :

لنا في كل مكرمة مجال ومن فوق السحاب لنا رجال
لنا الفخر العميم بكل عصر ومعمر ، هل بهذا ما يقال ؟
ورثنا سؤدا للصرب يبقى وما تبقى السماء ولا الجبال
فبالجد القديم علت قريش ومنا فوق ذا طابت فعال
ومنا لم يزل في كل عصر رجال للرجال هم الرجال

ولعل الامير كان اصديق الشعراء لانه - في الواقع - كان فارسا بطلا خاض غمرات الحرب فعلا وثبت عنه انه كان مثالا للمحارب الشجاع المؤمن بشخصيته وشعبه .

ويقول احمد البياتي من قصيدته (مصرع حشاد)

مادت الارض للفيجة وارتاعت شداد القلوب والاطواد
قائد جند الحياة وانمى في مغاني البلاد كل مراد
فبكاه الشمال وهو حزين وتناعته صادحات الوادي
شقت الجيب كل ذات حجاب وسوار على فقيد الضاد

ولكن الشعر الجزائري قد نظر الى البطولة من زوايا اخرى حديثة ولم يقصرها على تلك الشخصيات الباهتة التي تذهب (نضارتها) بذهاب اصحابها فقد تطرق الى عدة موضوعات وعدة - نظرات في الحياة وجد منها ان البطولة ليست عملا انسانيا فحسب وانها ليست تلك المبالغات السخيفة التي ترفع البطل في نظر مادحه او رائية الى درجة الالهة والملائكة والمعصومين ولكن البطولة كما جاءت في الشعر الجزائري الواقعي قد تكون في المدينة الصامدة والمدرسة المثقفة وقد تكون في جبل عاصر الزمن والاحداث وهو شامخ متكبر وقد تكون في اولئك المصلحين الصامتين العاملين لخير الشعب وصالح الوطن دون اضعاء او اعلانات كما انها قد تكون في تلك المجموعة الشعبية المندفعة لتحقيق الصالح العام وفي تلك المباديء العقيدية التي تسمو بالانسان كالدين والوطنية والحرية والحياة الكريمة .

ولا نحب الآن ان ناتي على كل موضوعات الشعر الجزائري التي اشاد

باديس يا حب الحزبا
ومعيد غاية مجدها
حققت من آمالها
قد كنت نفسا عافت اليد
هامت بحب بلادها

ويقول الشاعر مفدى زكريا في (دار الطلبة) احدى المؤسسات الوطنية:
يا دار انت على التقوى مؤسسة مبناك بالظهر مرصوص ومشدود
يا دار حملت آمال البلاد ففي أحشائك اليوم اشبال صناديد
ما بين جذرائها تحيا الجزائر لا من بين جذرائها تتلى النهاجيد
واظن اني لست في حاجة الى القول بان الشعر الجزائري في الآونة
الاخيرة (عهد الثورة) قد وجد البطولة الحقة ممثلة في الثورة بما فيها
من ايمان ووطنية وامل وابطال . ان الثورة قد الهمت الشعر كثيرا من
الموضوعات التي لم يكن يخوض فيها من قبل والتي خاضها ولكن في
خوف وحشمة ولقد حررته من قيود الرمز والاشارة وقيود المهادة والاصلاح
الموفر . تلك القيود التي ظل يتخبط فيها اكثر من نصف قرن وقد وجد
اليوم في بطولة جميلة وابن صدوق وزهانة وإلاف المجاهدين والفدائيين
والجاهدات والفدائيات في قمة اوراس ونبات جرجرة وسهول وهران
وجد من ذلك كله مادة غنية للقول المريح والتعير الحر عن البطولة
والابطال .

ولعل من سبق الحوادث ان نشر هذه الاشارة الى الشعر في عهد
الثورة اذ الواجب ان يترك ذلك الى ما بعد الاستقلال ليدرس دراسة
خاصة يراعي فيها التطور الزمني وظروف الحرب التي عاشتها الجزائر
في مدى خمس سنوات او تكاد . ان التاريخ الجزائري لا يد ان يعاد فيه
النظر وان يكتب من جديد على ضوء شخصية الجزائر المستقلة ذات
الامتداد التاريخي والعلاقات الوطيدة في الماضي والحاضر بالشرقين العربي
والاسلامي ولكن ما قلناه عن الشعر في عهد الثورة لا يعدو ان يكون اشارة
الى دورة في تسجيل البطولات وتخليد الابطال الذين لا يحملون من
علامات الشخصية البطولية تاجا او صولجانا ولكنهم يحملون خنجرا
وبندقية وايمانا راسخا بالنصر والحرية .

ابو القاسم سعدالله

اهم المراجع التي اعتمدنا عليها في هذا البحث :

- (1) جنبل - ط الجزائر
- (2) غادة ام القرى - ط تونس
- (3) امرأة الاب
- (4) نماذج بشرية - ط تونس
- (5) تصميم للشعر الجزائري الحديث
- (6) العناريس
- (7) ادباء من الجزائر - ط مصر
- (8) ديوان ابي اليقظان - ط الجزائر
- (9) نجمة
- (10) البيت الكبير
- (11) ديوان محمد العيد - مخطوط
- (12) بلال - مسرحية شعرية
- (13) الباب الاخير - ترجمة مجلة الفكر - تونس
- (14) سجل المؤتمر العام لجمعية العلماء - الجزائر 1935
- (15) مجموعة 1948، 1949، 1950،

من جريدة البصائر

1952، 1953

فيها بتلك البطولات الخالية من الاسماء اللامعة والتهويلات التي تشير
الضحك لا الإعجاب وتبعث على السخرية والكفر لا الاحترام والتفديس اذ
ان المجال هنا لا يسمح بالاستشهاد لكل فكرة وحسبنا ان نذكر بعض
الشواهد ليقف القاريء على مدى تطور الشعر من ناحية وتطور فكرة
البطولة من ناحية اخرى في شعب كفر بالاشخاص وآمن بالمبادئ الخالدة .
وقبل ان نذكر تلك الشواهد لا بد من توضيح نقطة هامة من تاريخ
الجزائر القومي وهذه النقطة يجب ان يقف عندها كل دارس او مهتم بهذا
التاريخ. لقد اتى على الجزائر وقت كانت تمجد فيه بعض الشخصيات وترفع
من قيمتهم الى سماوات ليسوا اهلا لها لولا اكتاف الشعب وسواعده
وكان ذلك ابان ظهور الحزبية ثم استمر مدة تقرب من نصف قرن كلها
تطاحن على الزعامة وصراع من اجل الظفر بكرسي او لقب من الانقلاب .
وقد خدع الشعب زما فكان يتناحر ويتقسم على نفسه ويضرب بعضه
بعضا انتصارا لفلان على فلان ولكن هذه الحال لم تكن لتستمر زما اطول
من ذلك لاسباب اهمها افلاس الحزبية وظهور طليعة من الجيل الواعي
وتطور الشعب وظهور الاشخاص او الممثلين على حقيقتهم امام الشعب
بعد ان خلعوا لباس التمثيل وكان هذا كله مقدمة ضرورية لتهيئة الاذهان
ولتوجيه الرأي العام نحو الثورة التحريرية الكبرى التي اعلنت في مطلع
نوفمبر 1954 .

وكان من حسن حظ الشعر كما قلت في غير مناسبة انه لم يكن شعرا
حزبيا حتى في اشد عهود الحزبية ازدهارا بل انه طالما حمل عليها ونادى
بالتخلص منها بتوحيد الصف والعودة الى الشعب ولم يستطع اي حزب ان
يستميل شاعرا قويا ضعيفا الى صفه فبقى الشعر بحمد الله بعيدا عن
السياسة بمفهومها الحزبي ولم يدخل معركة المهارات والسباب التي كان
ينظمها الرعاع بوحي من جهة من الجهات وبذلك سار الشعر في ركاب
الاصلاح وحمل على الفساد والطريقه والاستعمار والفرقة والرجعية واشاد
بالمعلمين وخطتهم في التنفيذ ومؤسساتهم في البناء فكان حقا صورة
صادقة معبرة عن كفاح الجزائر العملي منذ مطلع القرن العشرين حتى
اليوم .

اما الشواهد التي وعدنا بها فهذا بعضها يقول محمد العيد في الحرية
في وقت كان التعير المباشر غير ممكن في مثل هذه الموضوعات الحساسة
بالنسبة للاستعمار .

ولقد شجت قلبي وهاجت عبرتي ورفاء في شرف بعيد عيال
حمراء حرر جيدها من طوقها في الورق فهي عديمة الامثال
هتفت ففقت مجابا لهاتفها ولحننت عن قصد فقلت تعالي
شرقية في الطير او غربية ما دمت واصلة فلست ابالي

ويقول في المدرسة العربية التي قامت تناهض الاحتلال والاحتكار الثقافي

وتبنى الجزائر العربية الشرفية المعترزة بقوميتها ولغتها :

نمت ونما النشاء الصغير على الهدى بها ووعي فيها من العلم ما وعى
وشبت فامست للشباب كقلعة محصنة فيها الشباب تمنا
وفي الاطلس الاشم الذي قاوم الاستعمار الروماني والوندالي والتركي

والفرنسي يقول احمد الباتني :

لكن اصلع في (الشمال) مجريا اودى الزمان بريشه المطار
رفع العقيرة وانبرت اصداؤه ما للرؤوس الشوس من قهار
انا راس افريقا ورمز شمالها ملء الاثير يصيح في التاتار
اني انا العاتي اذا دبس الحمى واهين شبلى في الحمى او جاري

ويقول الشاعر احمد سخنون في الامام عبد الحميد بن باديس رائد
الثقافة العربية والاصلاح :